

الشباب الجزائري في ظل المتغيرات السوسيو-ثقافية الراهنة

Algerian youth and the current sociocultural change

بركات حسام الدين¹، بن سباع صليحة²¹ مخبر المجتمع الجزائري المعاصر، جامعة سطيف 2، الجزائر، ho.barkat@univ-setif2.dz² مخبر المجتمع الجزائري المعاصر، جامعة سطيف 2، الجزائر، s.bensebaa@univ-setif2.dz

تاريخ الاستلام: 2023/02/04 تاريخ القبول: 2023/04/06 تاريخ النشر: 2023/05/31

Abstract

ملخص

This research aims to identify the concept of youth and youth culture, in addition to learning about the socio-cultural history of Algeria and the current socio-cultural changes, and the role of cultural globalization in this change, and also aims to describe some of its manifestations.

Among the most important findings is that there is a youth culture existing today that was generated in isolation from society and due to the effects of cultural globalization, in addition to the presence of tremendous cultural diversity in Algerian society.

Keywords: Youth, Youth culture, social change, cultural change, cultural globalization.

يهدف هذا البحث إلى التعرف على مفهوم الشباب وثقافة الشباب، بالإضافة إلى الاطلاع على التاريخ السوسيو-ثقافي للجزائر والتغيرات السوسيو-ثقافية الحاصلة اليوم، ودور العولمة الثقافية في إحداث هذا التغير، ونحاول من خلاله وصف وتحليل بعض مظاهره.

ومن بين أبرز ما تم التوصل إليه، أن هناك ثقافة شبابية قائمة اليوم تولدت بمعزل عن المجتمع وبفعل تأثيرات العولمة الثقافية، بالإضافة إلى وجود تنوع ثقافي في المجتمع الجزائري، ويعود هذا التنوع إلى التاريخ السوسيو-ثقافي الممغن في القدم على هذه الأرض بفعل توطن العديد من الحضارات.

كلمات مفتاحية: الشباب، الثقافة الشبابية، التغير الاجتماعي، التغير الثقافي، العولمة الثقافية.

1. مقدمة

يمثل عنصر الشباب النسبة الأكبر من المورد البشري في الجزائر، وهو الأمر الذي يبدو إيجابيا في بلاد تسعى إلى تحقيق التنمية والتقدم الاجتماعي والاقتصادي، وفي نفس الوقت يشكل تأطير الشباب هاجسا كبيرا أمام الحكومات المتعاقبة، فاستغلال هذه الفئة بأحسن طريقة يعد تحديا صعبا، خاصة في ظل المتغيرات السوسيوثقافية التي مست مختلف أرجاء العالم، وليست الجزائر بدعا عن هذا التغيير، فمنذ الثورة التحريرية التي بادر إليها وقادها الشباب في تلك الحقبة والمجتمع الجزائري يعيش تحولات كبرى، تحولات مست صميم الدولة الجزائرية والفرد الجزائري، فبين خيارات سياسية واقتصادية وتحديات أمنية كثيرة عاشها الجزائريون بكل ذواتهم وجوارحهم آملين تحقيق المبتغى بإنشاء دولة قوية اقتصاديا واجتماعيا، وصل بنا الحال اليوم لما نشاهده على مستوى حياتنا اليومية، وعلى هذا الأساس كان من الضروري البحث عن فهم أكبر لواقعنا السوسيو-ثقافي اليوم خاصة عند أكبر شريحة في المجتمع الجزائري ألا وهي الشباب.

يشكل الشباب في الفئة العمرية (15-29 سنة) خلال السنوات الأخيرة في الجزائر أكثر من 10 ملايين نسمة أي ما يقارب 24 بالمائة من إجمالي عدد السكان الذي فاق 41 مليون نسمة، فهي بذلك تمثل ربع السكان، وإذا ما أضيف إليهم عدد السكان الأقل من 15 سنة أصبح الكل يشكلون ما يناهز 55 بالمائة أي أكثر من نصف السكان، وبهذا وُصف المجتمع الجزائري بالمجتمع الفتى. (يحي لعمارة حامد و خالد صديق خوجة، 2020)

وعليه نطرح التساؤل التالي: ما واقع الشباب الجزائري في ظل المتغيرات السوسيوثقافية الراهنة؟

أهداف البحث:

- وضع تصور لمفهوم الشباب والثقافة الشبابية.
- الاطلاع على الملامح السوسيوثقافية للمجتمع الجزائري.
- الكشف عن دور العولمة الثقافية في حدوث التغيير السوسيوثقافي.
- وصف وتحليل أبرز مظاهر التغيير لدى فئة الشباب.

منهجية البحث:

تم الاعتماد في إعداد هذا البحث على ما يلي:

- التحليل السوسولوجي لبعض الدراسات التي عنيت بمواضيع تخص التغيير السوسيو-ثقافي.
- المنهج الوصفي لتحليل المعطيات المشاهدة عيانا.

2. ماذا نعرف عن الشباب؟

1.2. المفهوم:

يعتبر مفهوم الشباب من أكثر الكلمات تداولاً في المجتمع، فهو بمعناه العام يشير إلى جماعة عمرية، كأن نقول أطفال، كهول، أو شيوخ، ولكن بالنسبة للبحث السوسولوجي فقد لا يعني هذا المصطلح جماعة عمرية بالضبط، بل يتطلب تحديد مفهوم دقيق له الأخذ بمعطيات أخرى ومؤشرات متدخلة كثيرة (هارالامبوس، 2001، صفحة 411)

يعتمد تحديد مفهوم الشباب على خصوصيات كل مجتمع ابتداءً، فلكل ثقافة رؤيتها الخاصة لهذا المصطلح، وهذا بناء على عدة مؤشرات، فالأمر إذاً له بعد ثقافي وفلسفي مرتبط بمعايير كل مجتمع، ويورد بعض الباحثين اتجاهات أساسية لتحديد مفهوم الشباب، يمكن إجمالها في ثلاثة أقسام، هي:

- الاتجاه البيولوجي: الذي يعتبر الشباب مرحلة عمرية متعلقة بنمو الإنسان، حيث يكتمل فيها نضجه العضوي والنفسي والعقلي، وقد حددها الباحثون وفق تصورين، من 15 إلى 25 سنة، أو من 13 إلى 30 سنة.
- الاتجاه النفسي: يعتبرها هذا الاتجاه مرحلة لها علاقة وثيقة بالنمو البيولوجي (البلوغ) حيث تكتمل في هذه المرحلة عمليات التطبيع الاجتماعي.
- الاتجاه السوسولوجي: وهو ينظر إلى الشباب كحقيقة اجتماعية أكثر منها بيولوجية. (غرايبة، 2009، الصفحات 23-24)

وقريباً من هذا يرى آخرون أن الشباب هو مرحلة عمرية تكون بين الطفولة والشيخوخة، وهي تتميز من الناحية البيولوجية بالاكتمال العضوي ونضوج القوة، واجتماعياً بأن يتضح فيها المستقبل المهني والعائلي للفرد. (البطران، 2018، صفحة 45)

ومعجماً يستخدم مصطلح الشباب للدلالة على زمن الحياة بين الطفولة والنضج. وقد تطور مصطلح الشباب في القرن العشرين ليصبح دالاً على جنس جمعي يستخدم كصفة؛ كأن نقول: ثقافة الشباب، لغة الشباب، جريمة الشباب.. واستعمل بشكل أوضح بوصفه طريقة للوجود أو الحياة. إن مصطلح الشباب قد انسلخ من المعاني المرتبطة بالعمر مثل كونه مرحلة للطيش واللامسؤولية إلى كونه إشارة إلى الحرية والإبداع ونمط الحياة بغض النظر عن أي حيز عمري. (بينيت، غروسبيرغ، و موريس، 2010، صفحة 417)

ونظراً لتعدد هذا المصطلح وصعوبة ضبطه طرأت ضرورة ملحة لنشوء علم أو فرع تخصصي ضمن علم الاجتماع يدرس هذه الفئة بشكل أكثر دقة وتفصيل، فتأسس ما يعرف بسوسولوجيا الشباب، الذي اهتم بدراسة كل ما يتعلق بالشباب بدءاً من الحيز العمري الذي يرتبط به أكثر الشباب والذي ظل يمثل وضعية

مشكلة، مروراً بالمشكلات أو المعضلات الجيلية التي يعاني منها الشباب خاصة في ظل التغيرات السوسيوثقافية المتسارعة، مشاكل التكيف والمسؤولية، بالإضافة إلى ثقافة الشباب، كما استهدف معالجة متغيرات الصورة النمطية عن الشباب. (GALLAND, 2007, p. 41)

وعليه فإن المعتمد لدينا هو أن الشباب مصطلح نسبي يمكن تحديد مضمونه بناء على عدة عوامل قد تكون منفردة أو مجتمعة، وهي عامل السن، وعامل الثقافة، وعامل نمط الحياة، وقد يكون العامل الأخير هو الأهم في العقود الأخيرة، فالشباب أصبح مرتبطاً بمواصفات تخص نمط العيش بما يتضمنه من سلوكيات واهتمامات ومشكلات ولباس وطعام وهوايات... فتراجع على اثر ذلك تأثير العوامل الأخرى، إذ يمكن أن نجد شخصا يتجاوز الخمسين من عمره ولكنه يُحسب على فئة الشباب نظراً لتواجد مجموعة من الخصائص الشبابية به، مثل نمط اللباس أو الطعام، وألوان الغناء الذي يستمع إليه وطبيعة الاهتمامات التي تستحوذ على تفكيره.

إذا فمن غير الممكن في البحث السوسولوجي -حسب اعتقادنا- الجمود على حيز عمري يقيد فئة الشباب بين سن 18 و 30 سنة اعتماداً على مؤشرات بيولوجية بحتة، بل إننا نعتقد أن العصر الذي نعيشه اليوم والتغيرات الاجتماعية والثقافية المتسارعة التي تتخلله، تحتم علينا النظر إلى عنصر الشباب بدون تقييد عمري، فنسبة الوعي بالمسائل الاجتماعية لدى فرد العصر الحديث تبدأ مبكراً، فقد يصادفك طفل- في سن العاشرة وهو يتحدث عن السياسة والمشاكل الاجتماعية وربما عن العلوم الدقيقة بشكل يوحي بأنه في مستوى وعي شخص ثلاثيني.

2.2. ثقافة الشباب:

تعرف ثقافة الشباب بأنها طريقة الحياة التي يجتمع عليها الشباب، وهذا وفق منظورين، فالأول يرتبط بنموذج محدد من القيم والمعتقدات والأنشطة التي يشاركها الشباب، وهذا يقتضي وجود جماعة مرجعية تتمسك بطرق معينة في ارتداء الملابس وقصات الشعر والاستماع إلى لون موسيقي بعينه، مع التكلم بلغة عامية متعارف عليها فيما بينهم والتجمع في أماكن محددة، وهذا يعني أن هذه الأنشطة تجسد قيمهم المشتركة. أما المنظور الثاني فيرى ثقافة الشباب من باب وظيفية هذه النشاطات المشتركة، وهي التي ترتبط عادة بحل المشكلات التي تواجه الشباب. (هارالامبوس، 2001، الصفحات 421-423)

ومن بين النماذج المعروفة عن ثقافة الشباب ما اشتهر في أواخر القرن الماضي مثل شباب الهيب هوب، وهي ثقافة متمحورة حول لون غنائي معين وما يصحبه من نمط لباس وثقافة عيش... أو شباب الإلتراس، وهي الجماعات الشبابية التي ترافق فرق كرة القدم وتشجعها.

3. التغير السوسيوثقافي:

من الواضح أن المصطلح مركب من جزئين، (سوسيو) وهي كلمة مشتقة من social (باللغة الانجليزية) ونعني بها المجتمع، وأما الكلمة الثانية فهي الثقافة culture، وليس هذا الربط عبثيا مطلقا، بل وُجد نظرا لوثاقة العلاقة بين الثقافة والمجتمع، ولذلك فقبل الخوض في تفاصيل التغير السوسيوثقافي في الجزائر فإنه يجدر بنا الإطلاع على بعض المفاهيم.

1.3. تعريف الثقافة: يعتبر مفهوم الثقافة من بين أكثر المفاهيم إثارة للجدل والخلاف بين الدارسين، ولعل أبرز ما يعبر عن هذا الجدل ما اشتهر عن رايموند وليامز حين قال: "لا أعرف كم مرة تمنيت لو أنني لم أسمع بهذه الكلمة اللعينة"، أو عندما قال جيمس كليفورد: "إن الثقافة هي فكرة تتعرض للشبهات بعمق لكن المرء لا يستطيع أن يعمل من دونها" (بينيت، غروسبيرغ، و موريس، 2010، صفحة 225).

عرّفها ادوارد تايلور بقوله: "هي الكل المركب المكون من المعتقدات والتقاليد والمعرفة والفن والأشياء المعنوية والقانون والعادات التي اكتسبها الإنسان بصفته عضوا من أعضاء المجتمع". وعرّفها ثيودور شيه بأنها: "طرق التفكير والإحساس والتصرف التي تكون مشكلتنا نوعا ما، تتعلمها وتتقاسمها مجموعة من الأشخاص، وتساهم بطريقة موضوعية ورمزية في تحويل هؤلاء الأشخاص إلى جماعة خاصة ومميزة". (فيرول، 2011، الصفحات 66-67)

ويتفق كثير من علماء الاجتماع على أنها تعني: كل جوانب الحياة الإنسانية التي يكتسبها الإنسان بالتعلم لا بالوراثة، ويشترك أعضاء المجتمع بعناصر الثقافة تلك التي تتيح لهم مجالات التعاون والتواصل، وتمثل هذه العناصر السياق الذي يعيش فيه أفراد المجتمع، وتتألف ثقافة المجتمع من جوانب مضمرة غير عيانية مثل: المعتقدات والآراء والقيم التي تشكل المضمون الجوهرى للثقافة. (غدنز و بيردسال، 2005، صفحة 82)

أما المفكر الجزائري مالك بن نبي فإنه يجمع بين النظريتين ويقرر بأن الثقافة تشمل فلسفة الإنسان وفلسفة المجتمع في آن واحد، ولذلك نجده يقول: "الثقافة إذن تعرف بصورة عملية على أنها مجموعة من الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية التي يتلقاها الفرد منذ ولادته كتراسمال أولي في الوسط الذي ولد فيه، والثقافة على هذا هي المحيط الذي يشكل فيه الفرد طباعه وشخصيته"، فهو يؤكد أن الثقافة هي قضية الإنسان والمجتمع في آن واحد، وهي دستور تتطلبه الحياة العامة، بجميع ما فيها من ضروب التفكير والتنوع الاجتماعي، ولقد شبهها بأنها الدم الذي يسري في عروق المجتمع الذي وجدت فيه منذ البداية، والثقافة هي موجه الحضارة بالنسبة لكل الشعوب منذ تاريخ الإنسانية الأول وعن طريقها يسجل المجتمع حضوره. (بن سباع صليحة، 2012)

على الرغم من أن تعريف إدوارد تايلور سيطر على ميدان العلوم الإنسانية والاجتماعية لمدة طويلة من الزمن والتعاريف المختلفة لمصطلح الثقافة، إذ يوجد هناك اختلاف في تعريف الثقافة كل حسب اتجاهه وفكره، فتعريف تايلور للثقافة بالرغم من شيوعه في الفترة السابقة، إلا أننا نرى أنه عاجز عن التقريب بين الثقافة والعلم كما فعل المفكر الجزائري مالك بن نبي والجدول الآتي يوضح ذلك:

الجدول رقم (1): الفرق بين الثقافة والعلم:

الثقافة	العلم
- الثقافة تعطي العلم. - إنها تعطي السلوك والغنى الذاتي الذي يتواجد على كل مستويات المجتمع. - تعطي امتلاك القيم الإنسانية التي تخلق الحضارة. - الثقافة تخلق الإنسان الذي يراقب. - تستمر في تجميل الأشياء وتحسينها وهذا هو مبدأ ذوق الجمال وهو من أهم العناصر الديناميكية في الثقافة. - المبدأ الأخلاقي وذوق الجمال والمنطق العملي والعلم أو الصناعة هي عناصر الثقافة الأربعة.	- إن العلم يعطي المعرفة إنه يعطي اللباقة والمهارة وفقا للمستوى الاجتماعي الذي يتم عليه البحث. - يعطي امتلاك القيم التقنية التي تولّد الأشياء. - العلم لا يولد الثقافة دوما. - العلم تنتهي عملياته عند إنشاء الأشياء وفهمها. - العلم غير شخصي موضوعي. - العلم أو الصناعة حسب تعبير ابن خلدون يكون عنصرا هاما في الثقافة لا يتم بدونها.

المصدر: كتاب مالك بن نبي "من أجل التغيير". (بن نبي، 1995)

وفي المحصلة نرى بأن الثقافة هي كلمة جامعة لكل ما يرتبط بالإنسان من فكر وسلوك مميز له وللمجتمع الذي ينتمي إليه باعتباره قد اكتسبه منه في إطار التنشئة الاجتماعية أو المعيشة.

2.3. تعريف المجتمع: عرف هذا المصطلح مثل سابقه جدلا في تحديد المفهوم بين الدارسين، حيث يتم ربطه في كل مرة بمجال معين أو بزمان معين؛ فيتغير حسب استعمالاته ومآلاته. ترى مارغريت تانتشر أنه يمكن استعمال كلمة المجتمع وفق منظورين، الأول هو اعتبار أنه يمثل كتلة المؤسسات والعلاقات التي تعيش في إطارها جماعة كبيرة نسبيا من الناس، والثاني اعتباره الشرط الذي تتشكل فيه مثل هذه المؤسسات والعلاقات، كأن نقول بأن الفقر يسببه المجتمع. (بينيت، غروسبيرغ، و مورييس، 2010، الصفحات 593-594)

يفترض تالكوت بارسونز أن المجتمعات أنظمة مغلقة وغير معلنة، قابلة للتنظيم وفق منظور تراتبي ينطلق من الحالة البدائية إلى الحالة العصرية، مروراً بالحالة القديمة، وعلى نفس الأساس يعتبر بيرل أن المجتمع يتألف من مجموعة من الكائنات الحية التي تمتاز بالقدرة على تكاثر وجودها الجماعي الذاتي حسب نظام قواعد للحركة تزيد مدة حياته عن مدة حياة كل فرد يخضع له. (بونت و إيزار، 2011، صفحة 812) ويمكن القول بأن الكلمة تعني على العموم، المجال الذي يعيش فيه جماعة من الناس؛ الذين تربطهم جملة من المبادئ وتحكم علاقاتهم مجموعة من القواعد المتفق عليها ضمناً أو تصريحياً بما يضمن استمرار وجود هذه الجماعة.

3.3. التغيير الثقافي: التغيير الثقافي هو عبارة عن التحول الذي يتناول كل التغيرات التي تحدث في أي فرع من فروع الثقافة، بما في ذلك العلوم والفنون والفلسفة والتقنية، كما يشمل صور وقوانين التغيير الاجتماعي نفسه، كما يشمل فوق كل ذلك كل التغيرات التي تحدث في أشكال وقواعد النظام الاجتماعي.

يتميز التغيير الثقافي بأنه عملية تحويل شامل قد تتناول طبيعة الثقافة نفسها، فهو تغيير نوعي أساساً، وإذا كان النمو الثقافي عملية ادخار مستمر ومحدد، فإن التغيير الثقافي ثروة مفاجئة، ثروة تحملها ثروة. فالتغيير الثقافي عملية تحليل وتفكك يتولد عنها كثير من العلل والانتكاسات التي هي الثمن الاجتماعي، كما أنه يقوم على الحركة المفاجئة والسريعة، كما ينجم عن الاتصال الخارجي مع الثقافات الأخرى، وينتج بصورة أساسية من الاختراع أو التجديد سواء أكان اختراعاً مادياً أم اختراعاً اجتماعياً كظهور الديانات والفلسفات والقوانين الاجتماعية.

ويعبر التغيير الثقافي عن التغيير الذي يحدث في أجزاء الثقافة أي في بناءها أو في عناصرها أو في مضمونها، أي بمعنى آخر المقصود بالتغيير الثقافي كل المتغيرات التي تحدث في كل عنصر من عناصر الثقافة مادية كانت أم غير مادية، بما في ذلك الفن والتكنولوجيا والفلسفة والأدب والعلم واللغة والأذواق الخاصة بالمأكّل والمشرب أو وسائل المواصلات والنقل والصناعة. (استيتية، 2010، صفحة 75)

4.3. التغيير الاجتماعي: يقصد به كل تحول يحدث في النظم والأنساق والأجهزة الاجتماعية، سواء أكان ذلك في البناء أو الوظيفة خلال فترة زمنية محددة. ولما كانت النظم في المجتمع مترابطة ومتداخلة ومتكاملة بنائياً ووظيفياً فإن أي تغيير يحدث في ظاهرة لا بد وأن يؤدي إلى سلسلة من التغيرات الفرعية التي تصيب معظم جوانب الحياة بدرجات متفاوتة.

ويعد التغيير الاجتماعي ظاهرة طبيعية تخضع لها جميع مظاهر الكون والمجتمعات الإنسانية بجميع ظواهرها خاضعة للتغيير المستمر، إلا أن هناك ظواهر أسرع في تغييرها وتطورها من الأخرى أما الجمود نفسه

في أية ناحية من نواحي الحياة الإنسانية فأمر لا يمكن التسليم به أو الموافقة عليه إذ يكفي أن ننظر إلى المجتمعات الإنسانية المختلفة لنرى مدى التغيير الذي أصابها عبر حقب التاريخ.

ويتعرض كل من "جيرث" و"ملز" إلى ماهية التغيير الاجتماعي ويعتبران أن التغيير الاجتماعي هو التحول الذي يطرأ على الأدوار الاجتماعية التي يقوم بها الأفراد، وكل ما يطرأ على النظم الاجتماعية، وقواعد الضبط الاجتماعي التي يتضمنها البناء الاجتماعي في مدة معينة من الزمن. (استيتية، 2010، صفحة 19)

4. تاريخ التغيير السوسيوثقافي في الجزائر:

1.4. الجزائر، إطلالة تاريخية:

عرفت الجزائر خلال تاريخها الطويل قيام عدة دول وكيانات سياسية ذات امتدادات مختلفة، كما عرفت توطن الرومان والوندال والفينيقيين والعثمانيين والفرنسيين وغيرهم، وقد خلفت هذه السياقات التاريخية تراثا ثقافيا زاخرا جعل الجزائر اليوم من أكثر الدول تمتعا بالتنوع الثقافي والثراء التاريخي، نراه متمثلا في سلوكات الناس ولباسهم وعاداتهم وكلامهم، وكذلك على مستوى التراث المادي واللامادي المتنوع، فالتنوع اللهجي في الجزائر على سبيل المثال يتميز بوجود عدة مفردات مضمناة مستمدة من اللغة الإسبانية والفرنسية والعثمانية إضافة إلى اللغة العربية ومختلف اللهجات الأمازيغية.

2.4. الجزائر قبل الاستقلال:

إن الاستعمار الفرنسي كان وجها من أوجه الصراع بين الغرب والعالم العربي، ولكنه في الجزائر كان أحد أبشع أنواع الاستعمار على الإطلاق، فقد كان الفرنسيون يستهدفون حربا تطهيرية في الجزائر، فلم يكتفوا بالاستيلاء على الأراضي والاستيطان، بل كانوا يسعون إلى محو الشخصية الجزائرية وإنشاء الجزائر الفرنسية، الفرنسية بلغتها ودينها وثقافتها، ولذلك حاربوا المساجد والزوايا ومنعوا الجزائريين من تعلم اللغة العربية، وغيبوا عنهم التاريخ ورخلوا كل عالم وواع أو قتلوه، لقد أرادوا قتل الشخصية الجزائرية بفرض القوانين التطهيرية وتجريم كل ما له علاقة بالهوية الأم. (السويدي، صفحة 34)

ومن بين أشكال الحرب التي مورست على الجزائريين يذكر مالك بن نبي الحرب الفكرية، التي كانت تدخل ضمن الصراع الفكري في البلاد المستعمرة، حيث أدرك الاستعمار أن معركة الفكر أقوى من معركة البنادق، وأن حربا عسكرية قد تكلفه النفس والنفيس يمكن أن تستبدل بحرب فكرية بلا ضجيج كما أنها مضمونة النتائج، ولكن بعد عقود طويلة عمل فيها الاستعمار على تجهيل الجزائريين والسيطرة على الزوايا الدينية واستعمالها لتنفيذ هذه المخططات عبر نشر الخرافات استغلالا للشعور الديني، برزت نخبة من المثقفين والمصلحين وحاربت تلك الخرافات وبدأت نشاطا إصلاحيا مهما. (بن نبي، الصراع الفكري في البلاد المستعمرة، 1981، الصفحات 15-18)

وفي ذات الصدد يقول العربي الزبيري: "إن الاستعمار كان يدرك ومازال أن شعبا بلا ثقافة شعب ميت، وأن الاحتلال الحقيقي لا يكتمل دون القضاء على ثقافة الشعب المستعمر". (الزبيري، 1999، صفحة 11)

لقد كان في الهوية الجزائرية بذرة لا تموت مهما تقادفتها رياح التغريب، فقد شهدت العقود الثلاثة الأخيرة قبل الاستقلال نشاطا متزايدا للحركة الوطنية بشقيها الثقافي والديني، وكانت جهود جمعية العلماء المسلمين الجزائريين حثيثة لاسترجاع معالم الهوية الوطنية، خاصة مع بروز الصحف والمجلات، فكان القلم يقظا طالما بقيت قلوب العلماء والدعاة مستيقظة، وهذا ما أكده مؤرخو تلك المرحلة مثل مالك بن نبي. (بن نبي، مذكرات شاهد للقرن، 1984، الصفحات 184-189)

3.4. الجزائر بعد الاستقلال:

غداة الاستقلال فتح الجزائريون أعينهم على واقع جديد، فبعد زوال سكرة فرحة النصر اكتشفوا أنهم قد خرجوا من ثورة تحريرية طاحنة، مثقلين بمخرجات سياسة الأرض المحروقة وبناتج قرن وثلاث من الاستعمار الاستيطاني الغاشم، الذي لم يكد يترك للجزائريين متسعا لأخذ نفَس الحياة وظل كاتما على صدورهم عشرات السنين، قضاها الشعب الجزائري تحت وطأة القهر والتجويع والتجهيل الممنهج.

وقد كانت السنوات الأولى من الاستقلال شديدة الصعوبة على الجزائريين، وكان الوضع الاقتصادي والاجتماعي والتعليمي متدهورا، فعانى الجزائريون من البطالة والفقر والحاجة وقلة كفايتهم من الغذاء والمال، كما ساهم عدم الاستقرار السياسي في تكريس مظاهر التخلف الاجتماعي والاقتصادي. (ستورا، 2012، الصفحات 11-12)

وبعد تبني السلطات الجزائرية للفكر الاشتراكي واعتماد جملة من الإجراءات مثل الثورة الزراعية وتأميم المحروقات، توفرت أكثر ضروريات الحياة للناس، وتوفر حد أدنى من الأمن الاجتماعي لينعم الناس باستقرار اقتصادي إلى حد ما، وهو ما انعكس على الواقع الثقافي حيث برزت الفنون والمسرح والسينما بشكل كبير، ولكن مع انهيار الإتحاد السوفييتي وسقوط الاشتراكية اتجهت الجزائر نحو الليبرالية الاقتصادية، إتجاه عجل بوفود حمولات ثقافية جديدة من الغرب كان لها وقعها على الواقع الاجتماعي والثقافي الجزائري، وكانت مظاهر التحول ظاهرة على الأسر، إذ تسارع التحول من النمط الأسري الممتد إلى النمط النووي، وازدادت الفردانية في المجتمع، كما ظهرت أنماط فنية جديدة مثل أغاني الراب والبوب ذات الأصل الغربي، وتتمطت ميولات الناس في اللباس وقصات الشعر بالصورة الغربية، وشاعت المصطلحات الغربية أكثر وأكثر، وازداد الميل نحو نمط العيش الغربي كذلك خاصة في المدن الكبرى.

وفي نفس الفترة عرفت الجزائر سنوات التسعينيات أزمة أمنية فاقمت من عدم استقرار الوضع الاقتصادي والاجتماعي، حيث عاش الجزائريون سنوات من الرعب والقتل بسبب الإرهاب، قبل أن تنفجر الأمور بتوقيع اتفاق المصالحة الوطنية سنة 2004، لتدخل بذلك الجزائر مرحلة البناء الحقيقية خاصة مع ارتفاع أسعار النفط وانتعاش الخزينة العمومية.

5. العولمة الثقافية كأحد المسببات الرئيسية للتغير السوسيوثقافي:

إن العولمة تعني تعميم الشيء وجعله عالميا، وهي تحمل معنى القولية والتميط لنموذج معين من النظام سواء كان ثقافيا أو اقتصاديا أو سياسيا على بقية الأنظمة أو المناطق.

1.5. مفهوم العولمة الثقافية:

تعتبر العولمة globalization ظاهرة قديمة ومتجددة، فهي بمفهومها المعروف الذي يدل على وجود حركة تبادلية تشمل السلع والعلاقات والقيم ورؤوس الأموال، موجودة منذ الثورة الصناعية على الأقل، فالتجارة والاستثمار مفاهيم قديمة للغاية، ولكن برزت العولمة بشكل أكبر مع التطور التكنولوجي والاتصالي الكبير الذي بدأ القرن الماضي، حيث ازدادت تأثيراتها على الدول والمجتمعات لتنتقل من باب الاختيار إلى باب الحتمية. (أمين، 2009، صفحة 17)

بعد استقرار العالم على النظام الدولي الجديد بعد الحرب العالمية الثانية، برز مفهوم العولمة كأحد معطيات هذا النظام، ثم تركزت أكثر مع نهاية الحرب الباردة، إذ تسعى العولمة إلى توحيد النموذج الاستهلاكي العالمي والتقريب بين الشعوب، بغية خلق ما يسمى بالمواطن العالمي، وتعد العولمة الثقافية أحد محاور العولمة، إذ تعمل على توحيد النموذج الثقافي العالمي والتقريب بين ثقافات الشعوب، وهي المتسبب الرئيسي في التغير السوسيوثقافي حاليا، ولتكريس العولمة يتم تسخير أدوات كثيرة ومتعددة، فمع بداية فكرة العولمة كانت الصحف والمجلات والمذيع والتلفاز هي الأدوات الرئيسية، ومع التطور التكنولوجي الذي شهده العالم نهاية القرن الماضي وخاصة في العقدين الأولين من القرن الواحد والعشرين، طغت شبكة الانترنت ووسائل التواصل الاجتماعي على العالم، فألغت الحدود بين الثقافات، وفتحت المجال أمام سكان العالم من أجل التواصل فيما بينهم بشكل مباشر، وكانت فئة الشباب هي الفئة الأكثر تأثرا بالعولمة، نظرا لكونها الفئة الأكثر استعمالا لوسائل الاتصال الحديثة. (عرايبي، 2006، صفحة 6)

2.5. وسائل العولمة الثقافية:

اعتمد الناس قديما على وسائل بسيطة للتواصل مثل الحمام الزاجل والإشارات واستعمال النار والضوء، ثم تطور الأمر إلى الصحف وأجهزة الراديو والتلفزيون، ونظرا إلى أن العولمة في أصلها تهدف إلى الترويج إلى السلع ونمط العيش الغربي (الأمريكي) استعملت الوسائل سابقة الذكر بالإضافة إلى الملصقات الحائطية

في النشر والترويج، وازدادت سطوة هذا النشاط الترويجي مع الثورة التكنولوجية العظيمة التي بدأت منذ عقدين بالاعتماد على شبكة الانترنت، ولذلك تعتبر وسائل التواصل الاجتماعي أهم وسائل العولمة الثقافية اليوم. وتُعرف وسائل التواصل الاجتماعي على أنها المواقع التي تتيح للجماعات والأفراد التواصل فيما بينهم عبر شبكة الانترنت، وتتيح لهم عدة خدمات مثل: تبادل الملفات والصور ومقاطع الفيديو والدرشة..، وظهرت مع بداية التسعينات. (الشاعر، 2015، صفحة 18)

ومن بين النماذج نذكر ما يلي:

1.2.5. **الفيسبوك:** ظهر لأول مرة سنة 2004 في جامعة (هارفارد) بـ: و م أ من قبل طالب يدعى (مارك زوكربيرغ)، ولقي رواجاً واسعاً لدى الشباب، ثم انتشر في المجتمع الأمريكي، ووصل عدد المشتركين به سنة 2010 حوالي نصف مليار مشترك، يتبادلون عبرها الصور والمستندات وينشرون أفكارهم، وساهمت خاصية الدردشة بشكل فعال في زيادة عدد المشتركين.

2.2.5. **تويتر:** بدأت في 2006 عبر شركة (obvious) الأمريكية قصد إتاحة خدمة التدوينات المصغرة، ثم قامت الشركة بفصل هذه الخدمة ومنحتها تسمية (twitter) لأنها لاقت إقبالا واسعا سنة 2007، وهو شبكة اجتماعية تتيح للمستخدمين إمكانية نشر أفكارهم بشكل محدود يشبه تغريدة العصفور، وهي تتيح خدمة نشر وتبادل التغريدات والمحتويات المرئية.

3.2.5. **يوتيوب:** تأسس سنة 2005 بكاليفورنيا بـ: و م أ، وهو فرع يتبع شركة غوغل (google) ويتيح هذا الموقع نشر وتحميل مقاطع الفيديو المختلفة، وكذلك البث الحي لمختلف الأحداث. (الشاعر، 2015، صفحة 63، 64)

6. كيف ينظر شباب اليوم إلى نفسه؟

توصلت إحدى الدراسات إلى مجموعة من الموصفات التي يطلقها الشباب الجزائري على نفسه، وهي كالآتي:

1.6. **جيل التغيير:** فهذا الشباب يتبنى مهمة التغيير في المجتمع معتقدا جازما بضرورة إحداث التغيير والقطيعة مع الماضي، انطلاقاً من نظريته المأساوية تجاه هذا الماضي، إذ يرى الشباب أن العقود التي مضت تضمنت استعماراً وحشياً طال أمده ثم عشرية من الإرهاب الهيجي الذي مزق أكباد الأمهات، ثم مرحلة حرجة شاع فيها الفساد وسوء توزيع الثروة، فمن منطلق كل هذه الوقائع وجب التغيير نحو واقع أفضل.

2.6. **جيل التمرد:** التمرد ضد السلطة وضد الأعراف وضد الواقع الاقتصادي الهش، حيث تبرز مظاهر التمرد من خلال المظاهرات والاحتجاجات والكتابات الحائطية والأغاني.

3.6. **الجيل الضائع:** إنه الجيل الذي عاش طفولته زمن الإرهاب ثم عاش شبابه في زمن الفساد المالي، وتبدو مظاهر الضياع في ارتفاع نسب استهلاك المهلوسات والانهايار الأخلاقي، ومن مظاهر الهجرة غير الشرعية (الحرقة) (ليندة، 2021، صفحة 211). ويبدو جليا انطلاقا من هذه الموصفات أن مستوى تقدير الذات لدى الشباب الجزائري مشئت، كما أن هذا الشباب يسعى إلى إثبات ذاته عبر عدة وسائل من بينها العنف والهجرة... واللا مألوف.

7. أبرز مظاهر التغير السوسيوثقافي:

1.7. على المستوى الأسري:

لقد تغير مفهوم الأسرة، إذ انتقلت الأسرة من كونها مؤسسة للتنشئة الاجتماعية وحاضنة عاطفية للطفل ومقر للتربية وإعداد الأجيال إلى مجرد هيكل بلا روح، فقد تخلت عن جزء كبير من مهامها التربوية والعاطفية لصالح الشارع ودور الحضانة، كما أن رمزية الوالدين تغيرت، فمن كونهما مربيان إلى مجرد أعضاء في الأسرة يمارسون واجباتهم المادية تجاه الأبناء، فضاعت الكثير من المعاني السامية للأسرة.

كان تكوين أسرة في الماضي غاية من الغايات السامية للفرد من أجل تحقيق الوجود وإنجاب أبناء يحملون اسمه، بينما أصبحت اليوم وسيلة من وسائل تحقيق الذات من أجل تكريس المكانة الاجتماعية بالارتباط النوعي بين الأشخاص، أي أصبح الاختيار يقع على أساس المستوى الاجتماعي والمحددات المادية، فتغيرت المعايير والقيم القديمة القائمة على الصلاح وحسن الخلق.

انتقل النوع المفضل للتجمع الأسري من نمط الأسرة الممتدة التي تضم تحت سقف واحد عدة أجيال من العائلة (الجد، الجدة، الأعمام، الأحفاد...) إلى نمط الأسرة النووية التي تضم الأسرة الصغيرة فقط (الأب، الأم، الأبناء)، وهذا مرده إلى عدة اعتبارات؛ من بينها أن الحيز المكاني للأسرة الممتدة لم يعد كافيا لاستيعاب عدد أفراد الأسر المشتركة، وهذا يشمل زيادة تكلفة المعيشة وتفكك الروابط العاطفية، كما أن تعقد الحياة وزيادة الخصوصيات الفردية حتم خلق حواجز بين الجميع، فقديمًا كانت الأسرة الممتدة قائمة بسبب وجود مشتركات وجودية تدعم هذا التوحد، أهمها وحدة النشاط الاقتصادي، فبعض العائلات تشتغل في الزراعة وأخرى في التجارة وهكذا، أما اليوم فقد اختار كل رب أسرة مساره المهني على أساس مستواه العلمي أو خبرته، بمعنى أن المستوى الاجتماعي اختلف فانتهى على اثر ذلك أهم سبب في التجمع، كما أدى صعود تيار الفردانية إلى ترجيح الكفة لصالح شيوع الأسرة النووية. (الطيب، 2011، صفحة 434، 435)

2.7. على المستوى الاجتماعي:

تغير مسارات التنشئة الاجتماعية، إذ مع ضمور الأدوار التربوية للأسرة انتقلت هذه الأدوار إلى مؤسسات أخرى أهمها دور الحضانة، فخرج المرأة إلى العمل وتكرس هذه الفكرة وانتقالها من كونها استثناء للضرورة في وقت مضى إلى حالة اعتيادية اليوم، أمر أجبر الأسر على توجيه أبنائهم لدور الحضانة ورعاية

الأطفال للاهتمام بهم طيلة فترة دوام العمل، وهذا تسبب في غياب الإشباع العاطفي للطفل وهو ما كانت له تبعات أخرى، وكذلك ساهم هذا الوضع في نشوء علاقات مضطربة بين الأبناء وأولياءهم. تسبب ذلك في تأثر الأبناء بما يجدونه من عادات وأفكار داخل دور الرعاية من قبل أقرانهم أو القائمين على تسيير هذه الدور، وهو العامل الذي أدى إلى حدوث نوع من المثاقفة، فعملية التأثير والتأثر في وسط تتعدد فيه المؤثرات ويستمر التواجد فيه لمدد زمنية معتبرة تكون في أعلى مستوى، فنشأ جيل له القابلية للتأقلم مع الوافد عليه من العادات والثقافات سواء المحلية أو الخارجية.

كما جاء هذا التغيير بمشكلات جمة أمام الشباب، خاصة فيما تعلق بالعمل، فنسب البطالة تزداد كل عام، ومنه فإن نسبة العنوسة تزداد طرديا مع هذا التحول، فالشباب يعانون من عدم القدرة على الإنفاق بسبب البطالة، وفي نفس الوقت تزداد نسبة التحاق النساء بسوق الشغل، وزاد التهميش والمحسوبية من تعقد الوضع على الشباب، (سميرة، 2014، صفحة 318) مما أثر على المستوى العام للأمن الاجتماعي واستقرار المجتمع.

8. خاتمة:

ظل المجتمع الجزائري يعيش حركية سوسيوثقافية مستمرة منذ القدم، فقد تعاقب على توطن البلاد الكثير من الحضارات والدول مثل الرومان والوندال والعثمانيين والفرنسيين، وقد ترك كل من مر على هذه الأرض رواسب ثقافية شكلت الشخصية الجزائرية بمواصفاتها الحالية، ولعل أبرز مظاهر هذه التأثيرات ما هو شائع في اللباس والعادات والغذاء وحتى التركيب اللهجي لمختلف مناطق الجزائر، ومن جانب آخر كان لظاهرة العولمة الثقافية أثرا كبيرا في حدوث تغير سوسيوثقافي كبير في الوقت المعاصر، وقد ساهم في ذلك الانفتاح الاتصالي العالمي الذي كان للثورة التكنولوجية اليد الطولى في تحقيقه، فتداخلت الثقافات وأصبحت المثاقفة عملية مستمرة على كافة المستويات، وبحكم أن الشباب هم أكثر من يستعمل هذه التكنولوجيات كانوا أكثر فئة تأثرت بها أيما تأثر، مما خلق نوعا من الإغتراب الثقافي وأنساق ثقافية جديدة لدى الشباب، ومن أبرز تجلياتها ما نراه في فضاءات الشباب ولغتهم واهتماماتهم، مما يجعلنا أمام واقع جديد فرضته العولمة الثقافية والتكنولوجية.

- وللمحافظة على ثبات سوسيوثقافي للمجتمع الجزائري في ظل هذه المتغيرات المتسارعة نقترح ما يلي:
- خلق أدوات وقائية من آثار العولمة الثقافية عبر تكريس تدريس مواد الهوية والتاريخ الجزائري للنشأ، ودعم هذا النشاط على المستوى الجمعي والمجتمعي المدني.
 - إعادة النظر في طرق مراقبة وسائط التواصل الاجتماعي ومراقبة المحتوى المخالف أو إنشاء وتطوير وسائط جزائرية بحتة مضمونة المحتوى.
 - العمل على حل مشكلات الشباب من أجل جذبهم ومنع تسرب المد التغريبي إليهم.

- إعادة الدور التربوي للمدارس والجامعات وعدم الفصل بين التربية والتعليم.
- تكريس التربية الإعلامية في المجتمع الجزائري من خلال الندوات وخلايا الإعلام على مستوى الجامعات وحتى وسائل الإعلام.

9. قائمة المراجع:

- أنتوني غدنز، و كارين بيردسال. (2005). علم الاجتماع (الإصدار 4). (مركز دراسات الوحدة العربية، المحرر، و فايز الصياغ، المترجمون) بيروت، لبنان: المنظمة العربية للترجمة.
- بنجامين ستورا. (2012). تاريخ الجزائر بعد الاستقلال 1962-1982. (صباح ممدوح كعدان، المترجمون) دمشق، سوريا: الهيئة العامة السورية للكتاب.
- بيار بونت، و ميشال إيزار. (2011). معجم الأثنولوجيا والأنثروبولوجيا (الإصدار 2). (مصباح الصمد، المترجمون) بيروت: مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.
- جلال أمين. (2009). العولمة. القاهرة، مصر: دار الشروق.
- جيل فيريول. (2011). معجم مصطلحات علم الاجتماع (الإصدار 1). (أنسام محمد الأسعد، المترجمون) بيروت، لبنان: دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر.
- دلال ملحس استيتية. (2010). التغير الاجتماعي والثقافي (الإصدار 3). الأردن: دار وائل للنشر والتوزيع.
- طوني بينيت، لورانس غروسييرغ، و ميغان موريس. (2010). مفاتيح اصطلاحية جديدة (الإصدار 1). (مركز دراسات الوحدة العربية، المحرر، و سعيد الغانمي، المترجمون) بيروت، لبنان: المنظمة العربية للترجمة.
- عبد الرحمان بن ابراهيم الشاعر. (2015). مواقع التواصل الاجتماعي والسلوك الإنساني (الإصدار 1). عمان، الأردن: دار صفاء للنشر والتوزيع.
- علم الاجتماع/ التربية. (1999). عمان، دار الشروق للنشر والتوزيع.
- فيصل محمود غرايبة. (2009). العمل الاجتماعي في مجال رعاية الشباب (الإصدار 1). عمان، الأردن: دار وائل للنشر والتوزيع.
- مالك بن نبي. (1981). الصراع الفكري في البلاد المستعمرة. (عمر مسقاوي، المترجمون) دمشق، سوريا: دار الفكر.
- مالك بن نبي. (1984). مذكرات شاهد للقرن (الإصدار 2). دمشق، سوريا: دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر.
- مالك بن نبي. (1995). من أجل التغيير. سوريا: دار الفكر للنشر والتوزيع و النشر بدمشق.
- محمد السويدي. مقدمة في دراسة المجتمع الجزائري. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.
- محمد العربي الزبيري. (1999). تاريخ الجزائر المعاصر (1954-1962). إتحاد الكتاب العرب.

- محمود عرابي. (2006). *تأثير العولمة على ثقافة الشباب*. القاهرة، مصر: الدار الثقافية للنشر.
- منال فهمي البطران. (2018). *واقع الشباب في القرن 21* (الإصدار 1). القاهرة، مصر: السعيد للنشر والتوزيع.
- ميشيل هارالامبوس. (2001). *إتجاهات جديدة في علم الاجتماع*. (إحسان محمد الحسن وآخرون، المترجمون) بغداد ، العراق: بيت الحكمة.
- بن سباع صليحة. (2012). *آلية التغيير الحضاري عند مالك بن نبي للاحداث التنمية الشاملة في المجتمعات العربية بصفة عامة و المجتمع الجزائري بصفة خاصة*. جامعة أحمد درابة أدرار 2012/ 12 / 04. الجزائر : جامعة أدرار .
- يحي لعامرة حامد و خالد صديق خوجة. (2020 ,11 20). *تطور فئة الشباب في الجزائر . سلسلة الانوار ، 10 (2)، الصفحة 191*.
- العماري الطيب. (2011). *التحولات السوسيوثقافية في المجتمع الجزائري وإشكالية الهوية*. مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والإجتماعية ، 3 (5).
- منصوري سميرة. (2014). *الشباب والتغير الاجتماعي - الثقافي في المجتمع الجزائري*. مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والإجتماعية ، 6 (16).
- عاززة ليندة. (2021). *ثقافة الشباب في عصر العولمة*. باتنة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، الجزائر: جامعة باتنة 1.
- GALLAND, O. (2007). *sociologie de la jeunesse* (éd. 4). PARIS, France: Armand Colin éditeur.